الدرس ١: التداوليات التحديد المعجمي والاصطلاحي وبيان كيفية النشأة والتطور: مارس ٢٠٢٠ د. باديس لهويمل

.....

سيتمّ في هه الورقة العلمية تقديم نبذة موجزة عن اللّسانيات التّداولية من حيث تعريفُها وعرض أبرز قضاياها المرتبطة بموضوعنا، وأهم مبادئها التي تقوم عليها مع بيان علاقتها بالبلاغة العربية، والنّظر في قيمة التقريب التداولي للغة العربية.

١-اللّسانيّات التّداوليـة:

تعد اللّسانيات التداولية Linguistique Pragmatique من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر؛ إذ بعدما كانت اللسانيات تقصِر أبحاثها على الجانبين البنوي والتوليدي؛ فتهتم بدراسة مستويات اللغة وإجراءاتها الداخلية (جانب بنوي)، وكذا وصف وتفسير النّظام اللّغوي ودراسة الملَكَة اللّسانية المتحكّمة فيه (جانب توليدي)، في إطار ما يُصطلح عليه بـ"لسانيات الوضع" Linguistique de situation ، جاءت اللسانيات التّداولية لتعالج في مقابل ذلك ما يسمى بـ"لسانيات الاستعمال"(linguistique d´utilisation)[١]، ولعل هذا ما جعلها أكثر دقة وضبطا حيث أنّها تدرس اللّغة أثناء استعمالها في المقامات المختلفة، وبحسب أغراض المتكلمين وأحوال المخَاطبين.

وتعنى اللّسانيات التّداولية في سبيل دراستها للّغة، بأقطاب العملية التواصلية؛ فتهتمّ بالمتكلّم ومقاصده باعتباره مُحرِّكا لعملية التواصل، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، ضمانا

---

[١] ينظر: نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها الأساسية وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي الأردن، ط١، ٢٠٠٩، ص ١٦٠.

لتحقيق التواصل من جهة، ولتستغلّها في الوصول إلى غرض المتكلم وقصده من كلامه من جهة أخرى.

فالتداولية إذن علم تواصلي جديد، يعالج كثيرا من ظواهر اللغة ويفسرها ويسهم في حل مشاكل التواصل ومعوقاته.

ومما ساعد التداولية في ذلك أنّها مجال رحب يستمدّ معارفه من مشارب مختلفة فنجده يمتاح من علم الاجتماع وعلم النفس المعرفي، واللسانيات وعلم الاتصال والأنثروبولوجيا، والفلسفة التحليلية[٢].

وبذلك فالتداولية تستند إلى كثير من مكاسب المعرفة الإنسانية المختلفة، ممّا يكسبها طابع التّوسع والثراء في مُعالجاتها المختلفة للغة؛ وجعلها تتّخذ لنفسها مكانة مهمّة بين البحوث، بعدما كانت تعدّ سلّة مهملات للسانيات.

١- **تعريف التداولية:** إن تقديم تعريف للتّداولية، يُلم بجميع جوانبها، ويشملها أمر من الصعوبة بمكان ذلك أنّها مبحث لساني، ونظرية لمَّا يكتمل بناؤها بعد، هذا من جهة ومن جهة أخرى نجدها تتقاذفها مصادر معرفية عديدة[٣]؛ إذ لكل مبدأ من مبادئ التداولية مصدر انبثق منه[٤]، كما أنّ التّداولية تتداخل مع كثير من العلوم الأخرى، مما جعل كل باحث ينطلق في تعريفها من مجال تخصُّصه، ولذلك سنكتفي

---

[٢] ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،(د ط)،٢٠٠٢ ص١٠،١١؛ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١،٢٠٠٥، ص١٧، وص٢٦؛ نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتهاالأساسية وقضاياها الراهنة، ص١٦٣.

[٣] ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع العلمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩، ص٦٣.

[٤] فنجد نظرية أفعال الكلام انبثقت من تيار"الفلسفة التحليلية"، ونجد "نظرية المحادثة" نابعة من فلسفة "بول غرايس" Paul Grice، كما أنّ نظرية الملاءمة ولدت من رحم علم النفس المعرفي، (ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص١٧).

بإيراد أهم ما جاء في تعريفها دون الاسترسال في ذلك، بعد أن نبحث في دلالة جذرها اللغوي.

أ-لغة: يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي (دول) وله معان مختلفة، لكنها لا تخرج عن معاني التّحول والتّبدل، فقد ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري(ت ٥٣٨هـ): « دول: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه(...) وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأُديل المشركون على المسلمين يوم أحد(...) والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم والدّهر دول وعُقب ونُوب، وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما»[٥]

وجاء في لسان العرب لابن منظور(ت ٧١١هـ):«تداولنا الأمر، أخذناه بالدّول وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر(...) ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة وتداولنا العمل والأمر بيننا، بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة»[٦].

فالملاحظ أنّ معاجم العربية لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر"دول" عن معاني: التّحول والتّبدل والانتقال، سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخرى، ممّا يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التّحول والتغير والتبدل والتناقل «وتلك حال اللغة متحوّلة من حال لدى المتكلم، إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس، يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذّرائعية والنّفعية والسِّياقية»[٧].

---

[٥] أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، منشورات دارالكتب العلمية، بيروت،الجزء١، ط١،١٩٩٨، ص٣٠٣.

[٦] لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد١١، ط٣، ١٩٩٤، (مادة دول)، ص٢٥٢، ٢٥٣.

[٧] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص١٤٨.

ولعل هذا الثبوت لمصطلح التداولية هو الذي جعل الباحث المغربي "طه عبد الرحمان" يستحدث مفهوم" المجال التداولي"في ترجمته لمصطلح pragmatique، ويقول في توصيفه للفعل" تداول":« تداول النّاس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه بينهم ومن المعروف أيضا أن مفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة ، فيقال: " نقل الكلام عن قائليه" بمعنى رواه عنه ويقال دار على الألسن بمعنى جرى عليها ويقال دار على الشيء بمعنى طاف حوله فالنّقل والدوران يدلاّن في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل وفي استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين(...)، فيكون التّداول جامعا بين اثنين هما: التواصل والتفاعل، فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولا بالفعل»[٨].

يخلص الباحث إلى كون مجال التّداول يحمل معنى التواصل بين المخاطبين والتفاعل فيما بينهم، ومقتضاه أن يكون القول المتلفظ به موصولا بفعل إجرائي، وهذه المدلولات اللغوية للفعل تداول وارتباطه المباشر بالممارسة التراثية، هو ما جعل الباحثين يتلقّونه بالقبول حينما وضع الباحث "طه عبد الرحمان" "التّداوليات" مقابلا للمصطلح الأجنبي " pragmatique "، سنة ١٩٧٠ [٩].

بيد أنّ الباحث الجزائري "عبد الملك مرتاض "يشك في ملاءمة المصدر"تداولية" للمصطلح الأجنبي ويقترح أن يكون "التّداول" دون الياء الصناعية كي لا يتمّ ترجمة مصطلحي pragmatisme و pragmatique بصيغة عربية واحدة، فيكون التّداول للدّلالة على الأول، أي "تداول اللغة" وتكون "التداولية" للدلالة

---

[٨] تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٥، ص٢٤٤.

[٩] يقول "طه عبد الرحمان":« وقد وقع اختيارنا منذ ١٩٧٠على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي(براغماتيقا) لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيين: الاستعمال والتّفاعل معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم»، طه عبد الرحمان:في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٠، ص٢٧.

على المفهوم الثاني المرتبط بالنزعة المذهبية الفلسفية القائمة على مبدأ النفعية[١٠]، وبذلك نضمن سلامة الاستخدام العربي في وصف المعاني المتقاربة، وتقبُّل المصطلحات بالدقة اللازمة.

وأمّا مصطلح التداولية في أصله الأجنبي"pragmatique" فإنّه يعود إلى الكلمة اللاتينية pragmaticus المبنية على الجذرpragma، ويعني العمل أو الفعل Action[١١] وتقلّب المصطلح على مدلولات عدة، لينتقل استعماله إلى الميدان العلمي بداية من القرن١٧م، وصارت تدل على كل ماله علاقة بالفعل أو التّحقق العملي وبعبارة أخرى يدل على كل ما له تطبيقات ذات ثمار عملية.

وهذا المعنى هو الذي قدّم له"ديوي" في قاموس القرن " Gentury Dictionary" ١٩٠٩؛ حيث توصّل إلى كون«التداولية هي النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة وموادها إنما تتخذ في حدود الاعتبارات العملية أو الفرضية فليس هناك محل للقول بأنّ المعرفة تتحدّد في حدود الاعتبارات النظرية التأملية الدقيقة، أو الاعتبارات الفكرية المجردة»[١٢].

---

[١٠] يقول الباحث:« وقد اصطُنع في العربية النقدية المعاصرة على أنّه"تداولية" في حين أنّا نشك في أنه كذلك بهذه الصّفة التي ورد عليها، في أصل الاستعمال الغربي، لأن صيغة هذا الاستعمال , pragmatique) (pragmatics لا تدل على وجود ياء النزعة المعرفية (علمية أو فلسفية أو أدبية) والتي يطلق عليها النحاة العرب بغير إقناع"الياء الصناعية" فالأجانب يصطنعون صيغة أخرى لما يقابل هذه الياء أو اللاحقة الثنائية على الأصح "ية" (Pragmatisme / pragmatism) فكيف نترجم نحن العرب مفهومين اثنين مختلفين في أصلهما بصيغة عربية واحدة؟(...) ولذلك نقترح أن نطلق على مقابل المفهوم الأول "التداول" (أي تداول اللغة)...، وعلى المفهوم الآخر المنصرف إلى النزعة المذهبية "التداولية" وذلك حتى نُطوّع العربية» عبد الملك مرتاض: "تداولية اللغة بين الدلالية والسّياق"، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر، العدد١٠، ٢٠٠٥، ص٦٦،٦٧.

[١١] ينظر: نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩ ص١٨؛ والطاهر لوصيف: "التداولية اللسانية"، مجلة اللغة العربية، جامعة الجزائر، العدد١٧، جانفي٢٠٠٦، ص٦.

[١٢] محمد مهران رشوان: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٤، ص٤١.

بمعنى أن التداولية تطلق على مجموعة من المعارف والفلسفات التي ترى أن صحة الفكرة تعمد على ما تؤدي إليه من نتائج عملية ناجحة في الحياة .

ب/اصطلاحا: يعود الفضل في استحداث مصطلح التّداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي "**تشارلز ساندرس بيرس**" **ch.s.peirse**(١٨٥٢/١٩١٤م) حينما نشر مقالتين في مجلة "ميتافيزيقا"، سنة ١٨٧٨ و١٨٧٩م بعنوان "كيف يمكن أن تثبت الاعتقاد؟" "ومنطق العلم:كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" حيث أكّد على أن الفكر في طبيعته إبداع لعادات فعلية، ذلك أنه مقرون بقيمتين: متى يتم الفعل؟ وكيف يتم؟ فيكون مقترنا بالإدراك في حالته الأولى وفي الحالة الثانية يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة ليصل إلى أن الممارسة والتطبيق والفعل هي التي تشكل الأساس والقاعدة لمختلف الأفكار[١٣].

ويرجع أول استعمال لمصطلح التّداولية إلى الفيلسوف تشارلز موريس (wiliam mouris charles) سنة ١٩٣٨، حيث قدم لها تعريفا في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات simiologie، وذلك في مقال له ركز فيه على مختلف التّخصصات التي تعالج اللغة(التركيب والدلالة والتداولية)، ليصل إلى أنّ« التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات» [١٤].

وهذا تعريف يتجاوز المجال اللساني ليشمل غيره من المجالات غيراللسانية (المجال السيميائي).

ولعل محاولة الوقوف على تعريف موحد للتّداولية، يعدّ من الصعوبة بمكان نظرا لتنوع خلفياتها الفكرية والثقافية، فتعدّدت التعريفات بحسب تخصّصات أصحابها

---

[١٣] ينظر: الزاوي بغورة: "العلامة والرّمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)"، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس٢٠٠٧، العدد٣، المجلد٣٥، ص١٩٩.

[١٤] فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ترجمة:سعيد علوش،المؤسّسة الحديثة للنّشروالتّوزيع، المغرب،ط١، ١٩٨٧، ص١٢؛ وينظر: جاك موشلار، آن روبول: التداولية اليوم، ترجمة:سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر،٢٠٠٣، ط١، ص٢٩.

ومجالات اهتماماتهم، ومن أبرزها ما قدّمه "**فرانسيس جاك**" francis jaques،« تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا» [١٥]. فالتداولية تتجاوز الدّراسة البنوية (السكونية) للّغة إلى دراستها في سياق استعمالها، ومراعاة كل ما يحيط بها من أحوال وما تخضع له من مقاصد المتكلمين، ولذلك عرّفها الباحث "الجيلالي دلاش" بكونها« تخصّص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم كما يُعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث»[١٦] ثم يردف كلامه بإجمال تعريف التداولية، في قوله:«هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية» [١٧].لأنها في إطار عنايتها بدراسة اللغة أثناء الاستعمال تهتمّ بعناصر التّخاطب و التّحاور فتُراعي قصد المتكلم ونواياه، وحال السامع وظروفه وتبحث في شروط نجاعة الرسالة، وسلامة الحوار بين المخاطبين وكل ما يحيط بهم فالتّداولية إذن تُعنى بكل ما يتّصل بالعمل التّخاطبي بحثا عن المعنى، وضمانا للتّواصل.

ويجعلها الفيلسوف المغربي "طه عبد الرحمان"، بعدِّه أوّل من أدخلها إلى الثقافة العربية تختص بوصف كل« ما كان مظهرا من مظاهر التّواصل و التّفاعل بين صانعي التراث من عامّة النّاس وخاصّتهم،(...) فالمقصود "بمجال التداول" في التجربة التراثية هو إذن محلّ التّواصل والتّفاعل بين صانعي التراث» [١٨].

فالتداولية إذن في أبسط تعريفاتها: دراسة للغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب، تقوم على مراعاة كل ما يحيط بعملية التخاطب، للوصول إلى المعنى وإحداث الأثر المناسب، بحسب قصد صاحبه، وتبحث في الشروط اللاّزمة

---

[١٥] فرانسواز أرمينيكو:المقاربة التداولية، ص١٣.

[١٦] مدخل إلى اللسانيات التداولية،ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية،الجزائر،١٩٩٢، ص١.

[١٧] نفسه.

[١٨] طه عبد الرحمان: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص٢٤٤.

لضمان نجاعة الخطاب وملاءمته للموقف التّواصلي الذي يوجد فيه المتلفظ بالخطاب والسامع له.

٢- نشأة التداولية وتطورها: تُشكّل التداولية درسا جديدا وغزيرا لمَّا يمتلك بعد حدودا واضحة، انبثق من التّفكير الفلسفي في اللّغة بيد أنّه سرعان ما تجاوزه ليعمل على صقل أدوات تحليله، وبخاصّة التّداولية اللّسانية موضوع حديثنا، ومدار بحثنا في "مفتاح العلوم".

إنّ اللسانيات التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد "سقراط" ثم تبعه "أرسطو" والرواقيون من بعده، بيد أنها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية للفلسفة إلا على يد "باركلي"، تغذّيها طائفة من العلوم على رأسها: الفلسفة واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع[١٩].

فالتّداولية اللّسانية اتجاه جديد في دراسة اللغة يبحث عن حلّ لعديد من المشاكل اللغوية التي أهملتها اللسانيات ولم تهتم بها نحو(الفونولوجيا والتركيب والدلالة)، ولذلك« يعترف كارناب karnab، أنّ التداولية درس غزير وجديد، بل يذهب إلى أكثر من هذا بقوله: إنّها قاعدة اللسانيات»[٢٠]. كما أنّ اللّسانيات التّداولية تشكّل محاولة جادّة للإجابة عن جملة من الأسئلة تفرض نفسها على الباحث والبحث العلمي بعامة، وعجزت اللّسانيات عن الإجابة عنها، متوسِّلة في سبيل ذلك عديدا من العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي أسئلة من قبيل: ماذا نصنع حين نتكلّم؟ ماذا نقول بالضّبط حين نتكلم؟ من يتكلم ومع من يتكلم؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيء

---

[١٩] ينظر: نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص١٦٣.

[٢٠] عبد الهادي بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص٢٣.

آخر غير الذي كنا نريد قوله؟ هل يمكن أن نَركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟[٢١].

ولم تصبح التّداولية مجالا يعتدُّ به في الدّرس اللّساني إلاّ في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن طوّرها فلاسفة اللّغة المنتمين إلى جامعة أوكسفورد oxford، جون أوستين j.Austine، وجون سيرل j.Searl.وبول غرايسPaul Grise، وهم من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية langage natiral.في مقابل مدرسة اللغة الشكلية (الصورية) formal language وكانوا يهدفون إلى إيجاد طريقة لتوصيل معنى اللغة الإنسانية من خلال إبلاغ مرسل رسالة، إلى مستقبل يفسّرها، فكان عملهم من صميم البحث التداولي[٢٢].

وكانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام التي ظهرت مع جون أوستينj.Austin ، وتطوّرت على يد"جون سيرل"(j.searle) وبعض فلاسفة اللغة من بعده، لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنّظريات التي تشكّل مجتمعة ما يعرف باللّسانيات التداولية،(أفعال الكلام، والاستلزام التّخاطبي، والإشاريّات،...).

والحقّ أنّ "جون أوستين" حينما ألقى محاضرات ويليام جيمس عام١٩٥٥ لم يكن يهدف إلى وضع اختصاص جديد للّسانيات أو فرع جديد لها، وإنّما كان يرمي إلى وضع اختصاص فلسفي جديد هو(فلسفة اللغة)، بيد أن تلك المحاضرات صارت فيما بعد بوتقة للّسانيات التّداولية.

وانطلق أوستين من ملاحظة بسيطة مفادها أنّ كثيرا من الجمل التي لا يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب«لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا

---

[٢١] ينظر: فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ص١١؛ وينظر:عبد القادر بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب ص٢٣،٢٤.

[٢٢] ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٩، ١٠.

تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، إنّما تغيّرها أو تسعى إلى تغييرها»[٢٣]. فجملة من قبيل"آمرك بالصمت" لا تصف واقعا بل تسعى لتغيير حالة الضجيج إلى الصمت.

وبناء على هذه الملاحظات قسم "أوستين" الجمل إلى: جمل وصفية يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وجمل إنشائية لا ينطبق عليها ذلك الحكم، وتقابل في الثقافة اللغوية العربية الجمل الخبرية والجمل الإنشائية، مثلما نجدها عند علماء النّحو والبلاغة، وكذا علماء التفسير وأصول الفقه في أبحاثهم.

وتنفرد الجمل الإنشائية بخصائص لا توجد في الجمل الوصفية، نحو كونها «تُسند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، وتتضمن فعلا من قبيل "أمر"و"وعد" و"أقسم" ويفيد معناه على وجه الدقة إنجاز عمل، وتسمى هذه الأفعال أفعالا إنشائية»[٢٤].

ولا يمكن الحكم على هذه الأفعال الإنشائية بمعيار الصدق والكذب وإنما بمعيار التوفيق أو الإخفاق، فعندما تأمر الأم مثلا ابنها قائلة: "نظِّف أسنانك" ويرد عليها بقوله: "أنالا أشعر بالنّعاس" فالأم هنا لم تقل كلاما صادقا أو كاذبا، بل قدّمت أمرا لابنها، وأمرها هنا أخفق لأن الابن لم يمتثل لأمرها، ولو قام بالفعل لقلنا إنّ أمر الأم كُلِّل بالنّجاح.

بيد أن "أوستين" اكتشف فيما بعد أن المقابلة بين الجمل الوصفية والجمل الإنشائية ليست بالبساطة التي كان يظن، ذلك أنّ هناك جملا إنشائية لكنها لا تستند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، ولا تتضمن أي فعل إنشائي مثل : "رُفعت الجلسة"[٢٥]. وقد قادته هذه الملاحظات الأخيرة إلى وضع مفهوم جديد، مفاده أنّ كل

---

[٢٣]آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص٣٠.

[٢٤] نفسه، ص٣١.

[٢٥] نفسه.

جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، وهو مفهوم الأعمال اللغوية،التي ميز فيها أوستين ثلاثة أنواع: العمل القولي، والعمل المتضمن في القول، وعمل التأثير بالقول[٢٦].

ففي مثالنا السابق يمثل التلفظ بالجملة "نظّف أسنانك" النوع الأول أي العمل القولي أمّا العمل المتضمّن في القول، فهو الفكرة التي تحملها الجملة، ووصلت للابن بمجرد سماع تلك الجملة، وأما عمل التأثير بالقول، فنجده واضحا في ردّ الابن على أمه "لا أشعر بالنّعاس" حيث تضمّنت هذه الجملة إقناعا للوالدة بتأجيل ابنها غسل الأسنان لموعد النوم كما تحتوي على الفعلين(العملين) الأوّل والثّاني.

وقد شكّلت أفكار وملاحظات "أوستين"، بداية موفّقة لنظرية أفعال الكلام، أوّل نظريّة تداوليّة لسانية،ثمّ سرعان ما فتِئت تتطوّر شيئا فشيئا مع فلاسفة اللّغة بعد "أوستين" بخاصة تلميذه "جون سيرل"، لتظهر بعدها نظريات أخرى (القصديّة والملاءمة، والاستلزام التخاطبي، والحجاج...) شكّلت مجتمعة ما يُعرف باللّسانيات التداولية.

---

[٢٦] ينظر:جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني،أفريقيا الشرق (دط)،١٩٩١، ص١١٥-١٢٧؛ وصلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص١٨٤-٢٠٥.

.